اجتمع بيني وبينه اجتماع لانا اموت بتلمسان ساعة ومتولي اليها فلما وصل اليها مال السلطان يعقوب
سلم الى عليه وقولوا الشهاده على يد ابي العباس المرسي ونعك على يديه فاخبره الرسل بذلك فمات الشيخ
ابو مدين بتلمسان وطلب يعقوب الشيخ ابا العباس المرسي فطلبا حثيثا وسير رسلا الى سائر
الجهات الى ان ظفروا به فاستاذن الحق تعالى في الاجتماع به فوجد انشرحا بذلك فمشى الى يعقوب
ففرح به يعقوب غاية الفرح ثم ان السلطان امر بذبح دجاجه وخنق اخرى وطبخهما وقدمهما
اليه وجلس معه ليأكل فلما نظر الشيخ ابو العباس اليهما امر الخادم برفع المخنوقه وقال هذه جيفة
وقال لولا تنجس الاخرى بالمرق النجس لاكلت منها فسلم يعقوب نفسه اليه وانزل نفسه معه
منزلة الخادم وسلك الطريق على يديه ترك ملك الغرب وساح فقد علمت انه لولا الكشف للشيخ
ابي العباس عن الدجاجه المخنوقه ما كان السلطان اعتقده ولا تلمذ له فمن الحمق والجهل
طلب امثالنا ان يكون احدهم شيخا على احد من الامراء الا بكشف عنده والحمد لله رب العالمين
وما انعم الله تعالى به علي عدم طلبي كثرة المريدين زياده على اقراني الان وطلبت نفسي على تحمل
كثرة البلا الزائد على بلا جميع الاقران فان كثرة البلا تابع لكثرة المريدين اذ الاوليا على
اقدام الرسل فكما ان بلا الرسل بحسب كثرة اممهم فكذلك الاوليا يكون بلاؤهم على قدر مريديهم
ومن هنا كان بلا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم من بلا الرسل كلهم كما قال صلى الله عليه وسلم
ما اوذي نبي كما اوذيت ومعلوم ان غيره نشر وقتل وابتلي بانواع من البلايا ومع ذلك
فما اوذي به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر لانه كما كمل الدين كذلك كمل له الابتلا لا رسالته
الى الناس كافة ولكن لما كان له المقام الاعظم في العلو على مقام غيره لم يظهر على ذاته العليه كبير
امر وغالب ما ظهر عليه من اذى قومه تكذيبهم له وشجهم جبينه وكسر رباعيته ووضعهم الكرش
على ظهره وهو ساجد ونحو ذلك الا ان ذلك بالنسبه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم اشد تاثيرا من تاثير
ما وقع لهم بالنسبه لمقامهم اذ التاثير في الذوات يكون بحسب المقامات كما هو مصرح في الكلام
على المعجزات وقال بعضهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما اوذي نبي كما اوذيت اي لان دعوتي
عامه فاجتمع على الاهتمام ببلاء امته كلها فكمل لي مقام الابتلا كما كمل لي الدين فكل بلا كان مفرقا
في الامم اجتمع لي وابتليت به فلا بلا لاحد كبلائي لانه لم يرسل احد الى الناس كافة غيري وكان
سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول كان صلى الله عليه وسلم كلما سمع ما جرى لنبي من
الانبيا من الاذى والبلا يتصف به ويجد في نفسه كما وجده ذلك النبي من الالم والاذى والغيره
على الدين واحتمال التكذيب وكان يقوم به من الشفقه والرحمه لاتباعه المؤمنين نظير ما حصل
لجميع الرسل فقد انكشف لك معنى حديث ما اوذي نبي كما اوذيت ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يجد
من الالم اشد من الم ذلك النبي الذي وقع الاذى عليه غيره عليه لعلو مقامه وكثرة تالمه صلى الله عليه وسلم
لتكذيب رسل الله من حيث محبة الاخوة التي كانت بينه وبينهم فان الانسان يتالم لضرر اخيه
اكثر مما يتضرر لضرر اجنبي ثم لا نعلم ان من طلب الدعاة الى الله تعالى كثرة الاتباع فليستعد لكثرة
البلا فان بلاه على قدر اتباعه وارثه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين
وما انعم الله تعالى به علي فلاح ولدي عبد الرحمن وحسن فهمه وعقله وامتثاله امري بحال
يمتثل المريدون وتعظيمه لي كما تعظمني الاجانب وقل هذا ان يقع من ولد فقير ثم ان وقع هذا لاحد
منهم جا اعظم مقاما من والده لانه ياخذ فوايد والده التي حصلها بكثرة المجاهده الى اخر عمره
فيعمل بها ويرمن بها من غير نصب ولا تعب كاملة موفرة فقد ساوى والده في مقام العلم والعمل

وما

وما بقي لوالده عليه الا مقام الشياخة والافاضه لا غير وذلك امر سهل وقد استفدت من ولدي هذا
عدة فوايد واداب فاسال الله ان ينفعه من فضله ولم يزل الفقرا يتجرعون الغصص من جهة
اولادهم لما يرونه منهم من قلة سلوك طريق القوم وقد كان سيدي الشيخ احمد الزاهد رضي الله عنه يلعن ولده
سيدي احمد ويخليه فلا يحصل له شي مما يحصل لغيره فيقول له والله انك يا ولدي لمن احب الناس الي
ولكنها قسم قسمت ولو ان الامر كان في يدي ما قدمت احدا عليك انتهى وكذلك ادركت شيخنا الشيخ
نور الدين المرصفي يتلهف على عدم سلوك بعض اولاده الطريق وعدم انتفاعه مع ان الجذب
بحيث ينتفع بالشيخ ويبلغ مبلغ الرجال ولما حضرت وفاة سيدي الشيخ محمد المنير كان ولده سيدي
علي كالمجذوب وكان قلبه معلقا به فكان كل من اجتمع به يقول له خاطرك على ولدي علي فلما توفي
والده افرغ الله تعالى عليه الاخلاق المحمديه والعلوم الشرعيه ومعرفة مراتب العالم وصار آية
من ايات الله تعالى قالوا واذا اراد الله تعالى ولد الفقير جا على مقام من والده فان لم يوفق
فاللوم على الوالد لانه افرغ في رحم امه النطفه الجامعه لجميع الكمد الذي كان في ظهره حين
تصفى جوهرا انتهى وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول انما كان الغالب على اولاد الفقرا
عدم بلوغ مراتب الرجال في الطريق لان احدهم يتربى على الدلال واكرام الناس له فيرى جميع
اصحاب والده يقبلون يده ويحملونه على اكتافهم ويطيعونه في كل ما يطلب منهم اكراما
لوالده فيتكبر نفس احدهم ويرضع من ثدي الرياسه من صغره ويتوالى عليه تلك الاحوال المظلمة
لقلبه حتى يصير لا تؤثر فيه المواعظ ولا يسمع من اكابر جماعه والده نصحا ويتجرا بسوء
الادب على الاكابر ويرى المشيخه له كالميراث فيحتش في حس والده لا يكتسب فضيله
كما هو مشاهد هذه في القاعده الاغلبيه في اولاد الفقرا وقد خالفت القاعده في اولاد جماعه
من اهل عصرنا فجاءوا فقيهين صالحين منهم سيدي محمد البكري وسيدي علي بن الشيخ محمد المنير
وسيدي زين العابدين بن سيدي علي المرصفي وسيدي احمد بن الشيخ سليمان الخضيري وسيدي
محمد بن الشيخ ابي العباس الحريثي وسيدي عبد القدوس بن شيخنا الشيخ محمد الشناوي فهولا من نوادر
الزمان في اولاد الفقرا فاسال الله ان يزيدهم وولدي عبد الرحمن توفيقا ويجعل الذريه من اعمالهم ارجح
من العقلاء من اعمال والديهم امين امين امين ثم اعلم ان ولد الفقير اذا سلك مع والده مسلك المريد
معه في الادب والتعظيم انتج فلاحا عظيما ووصل الى درجة الاوليا في الكمال وحاز حقيقة النسب
الاصلي من والده فان النسب الروحي هو المطلوب دون الطبيعي والحمد لله رب العالمين وما انعم
الله تعالى به علي عدم عداوتي لاحد من مشايخ عصري الذين هم اقراني المشايخ فكما اعتقد شيخي
وادين بصحة طريقته فكذلك اعتقد صلاحهم وادين بطريقتهم وانما خصصت شيخي بكثرة الاجتماع
لكون نصيبي في الطريق جعله الله تعالى على يديه دونهم كما ان من يكون بينك وبينه معاملة في الدنيا
ولكثرة اخذ وعطا تكون مجالستك له اكثر وهذا امر مستمر في ساير اعصار من عصر الصحابه الى وقتنا
هذا ثم ان هذا الخلق قليل من المريدين من يتخلق به بل رايت بعضهم يحط على اقران شيخه وقد كان
سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من اعتقد انه ينال حظا من الله تعالى بقرابته من اوليا
الله تعالى مع عدم صلاحه ومحبته لطريقتهم في الصفا والمحبة مع بعضهم بعضا ومع كثرة اساة
ادبه مع احد منهم فقد كذب في زعمه فكما انه يجب محبة الرسل كلهم وان اختلفت شرايعهم فكذلك
الاوليا يجب محبتهم كلهم وان اختلفت طرقهم وكما ان من امن بالانبيا والمرسلين الا واحدا منهم
لا يصح ايمانه فكذلك من اعتقد اوليا الله كلهم الا واحدا بغير عذر شرعي لا يصح محبته ولا يفيده

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)